



استأثر حديث الجهاد باهتمام جمهور الثورة على الأرض وفي الفضاء الثوري، فحمل الثوار لافتات تدعوا إليه وتحف به المتظاهرون داعين إلى إعلانه وفتح بابه، وامتلأت به الصفحات والمواقع والمنتديات، فإنك لتجد الجدل بشأنه حيثما ذهب بين مؤيد ومعارض. وكتب إلى بعض الفضلاء يسألون: ما هو موقفي من ذلك كله؟ الجواب يحتاج إلى تفصيل والتوضيح إلى تطويل، وهو أمر قد نهيت عنه، حيث طلب مني كثيرون في مناسبات عديدة أن أختصر ولا أطوي المقالات، فاستجبت لمطلوبهم وصارت هذه عادتي الجديدة منذ حين. فاسمحوا لي أن أخرج على العادة الجديدة وأن أقول في هذه المقالة ما أريد قوله دون اختصار ودون إخلال، وسوف أخص محتوى المقالة في آخرها ليقفز إلى الختام على الفور من لا يحب تضييع الوقت في قراءة التفصيات.

-1-

يتجادل الناس اليوم: هل ينبغي أن نعلن الجهاد أو لا نفعل؟ أول ما تبادر إلى ذهني وأنا أتابع هذا الجدل هو: ماذا كان الثوار يصنعون في كل أنحاء سوريا في ثلاثة يوم خلت؟ إذا لم يكن ما يصنعونه جهاداً فماذا يكون؟ وإذا لم يكن قتلهم شهداء فماذا يكونون؟

ألا يكون الجهاد جهاداً إلا بالسلاح؟ نعم، الأصل أنه كذلك، لكن قصره على السلاح دون غيره من "أدوات المقاومة" يضيق واسعاً؛ ألسنا نقرأ في القرآن: {انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله}؟ فالجهاد هنا ينصرف بوضوح إلى المال والنفس، وأيضاً: {الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله}، لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون، {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون}، {فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة}. تلك خمسة مواضع في القرآن اقتربن فيها جهاد المال بجهاد النفس، بل قدّم عليه ذكرأ لأنه لا يكون جهاد بلا مال.

والجهر بالحق والمقاومة السلمية بابٌ من أبواب الجهاد، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبرها من أعظم الجهاد وجعل شهيدها خيراً للشهداء؛ في الحديث: "ألا وإن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر"، وسئل صلى الله عليه وسلم: أي الجهاد أحب إلى الله؟ فقال: "كلمة حق عند إمام جائر"، وقال: "سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتلته". وحَكَمَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالشَّهَادَةِ لِكُلِّ مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ دُفَعِ الظُّلْمِ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ (مِنْ حَدِيثِ النَّسَائِيِّ

وصحّحه الألباني): "من قُتل دون مَظْلَمَتِه فهو شهيد"، ولعمري إن كل من سقط في الثورة إلى اليوم يشملهم هذا الحديث؛ إنهم شهداء في سبيل الله، وإن جهادهم من أعلى وأعظم مراتب الجهاد إن شاء الله.

إن الجهاد أوسع بكثير من أن يُحصر في حمل السلاح، فكما رأينا: بذل المال في سبيل الله جهاد، والجهر بالحق في وجه الحاكم الظالم جهاد، ودفع الظلم ومقاومة الظالمين جهاد، وكل دعم للجهاد جهاد. ولقد فهم السلف ذلك المعنى، فإنه لما خرج سعيد بن المسيب إلى الجهاد وهو كبير عليل وقد ذهب إحدى عينيه قيل له في ذلك، فقال: "استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب كثُرتُ السواد وحفظت المتعاع"، فعَدَ حفظ المتعاع جهاداً مع أنه لا قتال فيه، بل عَدَ مجرد تكثير عدد الناس من الجهاد، وهذا ما يفعله كل متظاهر في سوريا، ينضم الواحد إلى الواحد حتى يصبح الجميع بساطاً يشرياً يغطي الأرض ويزلزلها برعود الغضب.

بهذا المعنى العام والواسع للجهاد يكون كل مشارك في الثورة مجاهداً إن شاء الله، ولو كان خروجه فقط لإسقاط النظام الظالم المجرم ودفع الظلم عن نفسه وعن الناس، فإنه عمل يُرضي الله. إن المشاركة في المظاهرات جهاد، وتصويرها ونشرها جهاد، وحمل اللافتات والجهر بالهتافات جهاد، والكتابة على الجدران جهاد، والتخطيط للثورة وقيادتها جهاد، ودعمها بالمال جهاد، والتفرغ لنشر أخبارها في صفحات وشبكات الإنترنت جهاد... هذا ما أحسبه ولا أتألّى على الله، والله أعلم بالنوايا وهو يتولى الحساب برحمته الواسعة وكرمه العظيم.

-2-

على أن المعنى الأصلي الذي يرتبط بمصطلح الجهاد هو الجهاد بالقتال والسلاح، وهو ما يقصده الذين يدعون إليه ويحملون شعاراته، سواء من جماهير الثورة العريضة المنتشرة على أرض سوريا أو من كتاب الثورة ومفكّرها، وهو المعنى الذي يثير الجدل بشأنه بين الناس في هذه الأيام.

لا أستطيع -ابتداءً- إلا أن أعتبر عن ابتهاجي بانتشار الروح الجهادية في أوساط الأمة؛ هذه واحدة من بركات الثورة السورية، وإن برkatاتها لكثيرة بفضل الله. إن من جوامع الكلم النبوي الذي رأيت ترجمته واقعاً عاشته الأمة خلال السنوات المئة الأخيرة الكثيبة من عمرها قوله صلى الله عليه وسلم: "ما ترك قومُ الجهادَ إلَّا نَذَلَوا". أنا اليوم في الخامسة والخمسين من عمري، اطربوا خمس سنين لم أعقل فيها، فالباقي نصفُ قرن عشت وشهدت فيه ذلة الأمة وانكسارها، وأشهد بأن ترك الجهاد كان السبب الأكبر في تلك الذلة وذلك الانكسار.

الأمم كلها تدافع عن كرامتها وحريتها وتحارب إذا احتلّت أرضها، لو لا ذلك لكانت ألمانيا تحكم اليوم فرنسا وبلجيكا مثلاً واليابان تحكم كوريا والصين، فهل يصبح هذا القتال محراً إذا كان الطرف الذي احتلّت أرضه مسلماً وكان للقتال اسم محدد هو "الجهاد"؟ لماذا سكتت الأمة يوم احتلت أميركا العراق ولم يتحرك إلا النفر القليل من المخلصين الصادقين الذين حاربتهن حكوماتهم وسمّاهم العالم إرهابيين؟ إنكم تدركون اليوم -متاخيرين- أن احتلال العراق وفتح الباب للتمكين والعلو الإيراني جعل صعوبة إسقاط النظام الأسدية المحتل في سوريا صعبتين، وكذلك الأمر في كل احتلال أجنبى لقطعة من أرض المسلمين، فإن الكوارث يجر بعضها بعضاً، ومنذ سكتت الأمة عن احتلال فلسطين ورضيت به أمراً واقعاً صارت المنطقة كلها رهينة للغرب وصارت جزءاً من مشروع حماية دولة إسرائيل. هذه الحلقة الشريرة لن تنكسر إلا بالجهاد، ولن تعود للأمة كرامتها إلا بالجهاد، وصدق رسول الله عليه من الله الصلاة والسلام.

-3-

إذن فإن الذين يحملون اليوم شعار الدعوة إلى الجهاد إنما يقصدون هذا النوع من أنواعه تحديداً، الجهاد بمعناه الأصلي الذي هو القتال بالسلاح، وبشأنه يتناقشون ويختلفون. ولكن إلام يدعون وفي أي شيء يتناقشون؟ أليس الجهاد قائماً في سوريا منذ شهور، منذ أول طلقة أطلقها مقاتلون أحرار شرفاء على العصابات الأسدية المحتلة؟ بل، لقد صار الجهاد

بالسلاح أمراً واقعاً منذ تشكلت كتيبة الضباط الأحرار، ثم صار أكثر واقعية مع ولادة الجيش الحر واتساعه وانتشار عملياته على كامل الأرض السورية.

إنه جهاد مسلح تقوم به جماعة عسكرية محترفة لها صفة رسمية، فهي جيش نشأ من جسم جيش، وبما أن الجيش الأصلي سقط تحت الاحتلال منذ أن سطا عليه حزب البعث ثم ورثه حافظ الأسد فقد صار جيشاً غير شرعي ولا يمثل الشعب السوري، ومن ثم فإن الجيش الوليد الجديد هو الجيش الشرعي الوحيد، هو جيش سوريا الوطني الذي ينبغي أن يحمل السلاح وأن يدافع عن الشعب والوطن.

-4-

إذن فإن الجهاد أمر واقع وحالة قائمة، ومن ثم فإن الدعوة إلى إعلانه لا تُتحمل على البدء فيه وإنما تُفسَّر على أنها دعوة إلى توسيعه وإطلاق النفير العام ليشمل كل قادر، أو على الأقل كل راغب في حمل السلاح. إنهم يسألون: أما حان الوقت لإطلاق النفير العام وإعلان الجهاد؟

الجواب: بل، لقد حان. في الحقيقة إن الجهاد ضد النظام البعثي الأسدية المجرم واجبٌ منذ الأزل، منذ اليوم الأول الذي سطا فيه حزب البعث على البلاد وسام أهلها الذل والهوان وحارب الدين والأخلاق وحاصر الحريات وداس كرامة الخلق ببساطير العسكر وجنازير الدبابات. منذ ذلك اليوم وجب الجهاد لتحرير البلاد من الاحتلال والاستبداد، ولكن الشعب لم يملك القوة اللازمة، وهو لم يكن قد اهتدى بعد إلى سلاح المقاومة السلمية الذي يستعمله اليوم. وحينما قامت فئة من السوريين لإسقاط النظام قَصَّمْها النظام، فهي كانت فئة قليلة ضعيفة ولم تساندها قوَّةُ الشعب الهائلة التي تساند الثورة اليوم، ولو أنها فعلت لتغير تاريخ سوريا ولوفر الناس على أنفسهم ثلاثين سنة من القهر والعذاب.

ولم يسحق النظام تلك الفئة المؤمنة فقط، بل لوث تاريخها وسوَّد سمعتها وسخر لحربها آلة الإعلامية الحقيرة ذاتها التي يواجه بها الثورة الشعبية اليوم، وأن تلك الآلة الجباره لم يكن لها منافس في زمن لم تكن قد ولدت فيه بعدُ وسائل الاتصال والتوثيق التي يملكها كل واحد من عامة الناس في هذه الأيام، لأنها كذلك فقد نجحت -للأسف- في غسل عقول ملايين السوريين الذين تربوا في مدارس النظام على مناهج النظام وأكلوا وشربوا وتنفسوا إعلامَ النظام خلال ثلث قرن، وما يزال هؤلاء الملايين إلى اليوم (أو جلهم) مقيتين بأن الثورة المسلحة التي قامت ضد نظام حافظ الأسد كانت عملاً تخريبياً مفسداً وأن ثوارها -من الإخوان ومن الطليعة المقاتلة- كانوا مفسدين ومخرّبين، مع أنهم لو نجحوا في ثورتهم لمنهم الشعب السوري أرفع الأوسمة ولصار شهداؤهم -كالشيخ مروان حديد رحمه الله- من أعظم الأبطال.

وها قد دار الزمان دورته ورأينا كيف يزور هذا النظام الأثيم الحقائق وكيف يجعل الضحايا مجرمين. إن ثوار اليوم سعداء بالحظ لأنهم عاشوا في زمن الإعلام المفتوح والاتصالات المتاحة، فاستطاعوا توثيق جرائم النظام ونقلها إلى العالم، وهزموا خطة النظام الشريرة فلم يصدق روایته عن العصابات المسلحة إلا السذجُ من الناس، وهم قليل، أما ثوار الزمان الأول فقد دفعوا الثمن مرتين: آلاف الشهداء، وعشرات الآلاف من المعتقلين الذين غابوا وراء الشمس عشرين سنة يعانون في كل يوم من أيامها العذاب الأليم، وعشرات الآلاف من المهجرين الذي غادروا الوطن وحرموه إلى هذا اليوم، حتى إن عامتهم فقدوا العدد العديـد من الأحبـاب ولم يستطـعوا أن ينظـروا إليـهم نـظرة وـداع... عـشرات الآـلاف دفعـوا الثـمن الغـالي ثم حـملـوا المـلامـة منـ الطـرفـينـ، منـ الشـعبـ وـمنـ النـظامـ، هلـ تـجـدونـ هـذاـ مـنـ الإـنـصـافـ؟

-5-

حسناً، لقد وجب الجهاد في ذلك الوقت المبكر وبقي واجباً طالما استمر الاحتلال البعثي الأسدية للشام، ولكن الجهاد ليس رحلةً كشفية ولا نزهة خلوية؛ إنه مشروع كبير له شروطه الموضوعية التي لا يصح إعلانه إلا بتوفّرها، وهي لم تتوفر طوال السنتين العجاف من يوم انقلاب البعث إلى اليوم الذي بدأت فيه الثورة الشعبية العظيمة قبل عشرة أشهر، لذلك لم تنجح

الثورة المسلحة التي استمرت عدة سنوات من أواسط السبعينيات انتهاء بمجازرة حماة الكبرى، ولذلك يستطيع المؤرخون الذين يؤرخون لأحداث سوريا أن يحكموا على تلك الثورة بأنها كانت قراراً خاطئاً اُتخذ في الوقت الخطأ ونُفذ بالطريقة الخطأ. نقول ذلك بلا مواربة ولا مجاملة لأحد، مع إصرارنا على عدم تغيير المسميات، فنصر على القول بأن الذين قاموا بالثورة مجاهدون صادقون يستحقون أفضل الذكر من أهل الأرض وأعظم الأجر من رب السماء، ونصر على القول بأن تلك الثورة المسلحة من الجهد المشروع، وأن النظام الأسدية البعثي نظام محظوظ، وأن حافظ الأسد مجرم كبير، ومثله أخوه رفعت وسائل قادة الأجهزة الأمنية الذين مارسوا في تلك الحقبة كل الرذائل والبشعات التي يمارسها تلاميذهم في الثورة الحالية هذه الأيام.

إن من أعجب ما قرأت مقالة لكاتب لا أسميه، يطلب فيها من الإخوان تقديم اعتذار لشعب سوريا وأهل حماة تحديداً لأنهم هم السبب في محنـة الثمانينيات برأيه. يا للعجب! أيـلام المخدول ولا يـلام الخانـل؟ ذلك المقال ذـكرني بما لا أزال أسمعـه عن قوم فقدوا المرءـة والـحياة من أهل سوريا في هذه الأيام، يـلومون الثورة لأنـها حرـمتـهم ما كانوا فيه من مرأة وهـنـاء العـيشـ، فـهم يـتحـسـرون على التـزـهـات الضـائـعة والـرـخـاء المـفـقـودـ ولا يـبـالـونـ بـالـضـحـاياـ وـالـعـذـيبـينـ... وـيلـ لهمـ من حـسابـ اللهـ وـمن حـسابـ الشـعـبـ وـمن حـسابـ الضـميرـ! أليس منـطقـ أولـئـكـ الـقـومـ مـمـاثـلاً لـمـنـطقـ كـاتـبـ تـلـكـ المـقـالـةـ الـحـمـقاـءـ؟

هل تـقـبـلـونـ بـيـ حـكـماـ مـحـايـداـ؟ لـقدـ أـخـطـأـتـ الجـمـاعـةـ الصـغـيرـةـ لأنـهاـ اـسـتـأـثـرـتـ بـقـرـارـ الجـهـادـ وـلـمـ تـسـتـشـرـ عـامـةـ الشـعـبـ وـلـاـ هـيـأـتـهـ لـلـمـعـرـكـةـ، وـأـخـطـأـتـ الجـمـاعـةـ الـكـبـيرـةـ لأنـهاـ تـخـلـتـ عنـ المـجـاهـدـينـ وـأـدـانـتـهـمـ اـعـتمـادـاـ عـلـىـ روـاـيـةـ الطـرـفـ الـقوـيـ الـمـجـرمـ. وـهـكـذاـ يـنـتـهيـ الجـدـلـ بـشـأنـ تـلـكـ المـحـنـةـ بـتـعـادـلـ الـطـرـفـينـ بـنـقـطـةـ لـكـلـ مـنـهـمـ وـيـطـوـيـ الـمـلـفـ إـلـىـ الـأـبـدـ، يـطـوـيـ فـيـهـ الفـصـلـ الـخـاصـ بـالـتـلـاؤـمـ، أـمـاـ الفـصـلـ الـخـاصـ بـالـعـبـرـ وـالـفـوـائـدـ فـيـنـشـرـ حـتـىـ يـقـرـأـهـ كـلـ وـاحـدـ مـنـ النـاسـ، مـنـ أـهـلـ سـورـياـ وـمـنـ غـيرـهـاـ، لـكـيـلاـ يـتـكـرـرـ الـخـطـأـ مـرـتـيـنـ، وـمـاـ سـقـتـ الـكـلـامـ الـطـوـيـلـ كـلـهـ وـأـتـعـبـتـمـ بـقـرـاءـتـهـ إـلـاـ مـنـ أـجـلـ هـذـهـ الـغاـيـةـ.

-6-

لـمـاـ فـشـلـتـ الثـورـةـ الـمـسـلـحةـ الـأـلـىـ ضـدـ النـظـامـ؛ يـجـبـ أـنـ نـعـزـ جـهـزـاـنـ حـصـرـهـاـ، وـلـكـنـ نـعـزـ جـهـزـاـنـ الـأـسـبـابـ كـثـيرـةـ وـمـتـدـاخـلـةـ بـحـيـثـ يـعـجزـنـ حـصـرـهـاـ، وـلـكـنـ لـنـ نـعـزـ جـهـزـاـنـ الـاهـتـاءـ إـلـىـ أـهـمـهـاـ وـأـعـظـمـهـاـ أـثـرـاـ.

المـشـكـلـةـ الـكـبـرـىـ فـيـ تـلـكـ الثـورـةـ، ثـورـةـ السـبـعـيـنـياتـ، أـنـ الـذـينـ قـامـواـ بـهـاـ لـمـ يـنـجـحـواـ فـيـ تـحـوـيلـهـاـ إـلـىـ مـشـرـوعـ شـعـبـيـ، فـاقـتـصـرـتـ عـلـىـ فـئـةـ قـلـيلـةـ مـحـدـودـةـ الـعـدـدـ، وـبـذـلـكـ صـارـتـ صـيـداـ قـرـيبـاـ وـفـرـيـسـةـ سـهـلـةـ نـجـحـ النـظـامـ فـيـ اـفـتـرـاسـهـاـ. هـذـهـ المـشـكـلـةـ لـيـسـ مـوـجـودـةـ حـالـيـاـ لـأـنـ الـجـيـشـ الـحـرـ وـلـدـ وـلـادـةـ طـبـيعـيـةـ مـنـ رـحـمـ الـثـورـةـ الـشـعـبـيـةـ، وـلـأـنـهـ يـحـمـيـ الـثـورـةـ وـيـسـاعـدـهـاـ عـلـىـ تـحـقـيقـ هـدـفـهـاـ، فـيـ الـتـيـ تـقـوـدـ الـمـرـحـلـةـ وـهـيـ الـتـيـ تـصـنـعـ الـحـدـثـ وـهـوـ تـابـعـ لـهـاـ وـجـنـديـ مـنـ جـنـودـهـاـ. هـذـاـ فـرـقـ الـعـظـيمـ يـمـنـجـ تـجـرـيـةـ الـجـهـادـيـةـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ مـيـزـةـ حـرـمـتـ مـنـهـاـ الـتـجـرـيـةـ الـأـلـىـ، وـهـيـ مـيـزـةـ فـاـصـلـةـ تـفـصـلـ مـاـ بـيـنـ النـجـاحـ وـالـإـخـفـاقـ لـأـنـ مـنـ بـدـيـهـيـاتـ حـربـ الـعـصـابـاتـ أـنـهـاـ لـاـ تـعـيـشـ بـلـاـ حـاضـنـةـ سـكـانـيـةـ ذاتـ كـتـلـةـ كـافـيـةـ وـتـعـاطـفـ كـبـيرـ.

هـذـهـ الـحـاضـنـةـ السـكـانـيـةـ تـدـعـىـ "ـعـمـقـ الدـاخـليـ"ـ لـلـثـورـةـ الـمـسـلـحةـ، وـيـواـزـيـهـاـ فـيـ الـأـهـمـيـةـ "ـعـمـقـ الـخـارـجيـ"ـ، حـيـثـ تـحـتـاجـ حـربـ الـعـصـابـاتـ إـلـىـ اـمـتـادـ وـرـاءـ الـحـدـودـ، وـلـاـ يـكـادـ التـارـيخـ يـذـكـرـ لـنـاـ حـرـباـ وـاحـدـةـ مـنـ حـربـ الـعـصـابـاتـ نـجـحتـ فـيـ الـبقاءـ بـلـاـ عـمـقـ مـنـ ذـلـكـ النـوـعـ. الـعـمـقـ الـخـارـجيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـعـاطـفـ دـوـلـةـ مـجاـوـرـةـ وـتـعـاوـنـهـاـ، وـهـيـ تـقـدـمـ الـأـرـضـ الـلـازـمـةـ لـإـيوـاءـ ضـحـاياـ الـثـورـةـ مـنـ الـمـدـنـيـنـ أـوـ قـيـادـاتـهـاـ وـعـنـاصـرـهـاـ مـنـ الـمـسـلـحـينـ، وـهـذـاـ عـمـقـ مـوـجـودـ حـالـيـاـ فـيـ تـرـكـياـ بـصـورـةـ شـبـهـ نـمـوذـجـيـةـ.

ثـورـةـ السـبـعـيـنـياتـ فـقـدـتـ الـعـمـقـ الـخـارـجيـ كـمـاـ فـقـدـتـ الـعـمـقـ الدـاخـليـ، بـعـكـسـ الـثـورـةـ الـحـالـيـةـ الـتـيـ كـسـبـتـ الـأـثـنـيـنـ، وـهـمـاـ أـقـولـهـاـ بـكـلـ وـضـوـعـ وـتـأـكـيدـ. مـنـ ثـمـراتـ الـثـورـةـ الـسـلـمـيـةـ الـتـيـ صـبـرـ عـلـيـهـاـ جـمـهـورـهـاـ الـأـعـزـلـ وـثـابـرـ حـتـىـ حـصـدـ تـلـكـ الـمـكـاـسـبـ الـعـظـيـمـةـ. إـذـنـ فـإـنـ الـعـائـقـ الـأـكـبـرـ لـمـ يـعـدـ مـوـجـودـاـ، وـمـنـ ثـمـ بـوـسـعـنـاـ أـنـ نـنـادـيـ حـيـ عـلـىـ الـجـهـادـ. أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟

-7-

ليس بعد، فما زالت تنقصنا بعض الشروط التي ينبغي ضمانتها قبل الاندفاع في ذلك الطريق ذي الاتجاه الواحد، وأهم تلك الشروط هو تأمين موارد الحرب، وهو الأمر الذي غفلت عنه الثورة الأولى فقدت زخمها وتلاشت قوتها، واستطاع النظام محاصرتها وخنقها واستئصالها من الوجود. لقد كان الرجال فيها قلة، عدة مئات من الثوار كُتب عليهم أن يواجهوا قوة أمنية تزيد على نصف المليون عدداً، وها قد صرتم تعرفون اليوم ما معنى تلك القوة وما مقدار همجيتها وشراستها وإجرامها. وكان السلاح عزيزاً، فربما تناوب على البندقية الواحدة العدد من الرجال، ولم يكن للثوار ملaz وموئز ولا مال ولا أي من الموارد اللوجستية اللازمة للحرب (التمويل والعلاج والإعلام والاستخبارات والاتصالات).

لتقارن ظروف الثورة القديمة بظروف ثورتنا الحاضرة: بعكس الماضي، الرجال الآن موجودون؛ إن نفيراً عاماً واحداً يمكن أن يجمع مئة ألف متطوع للقتال، لكن أين يقيمون؟ أين يتدرّبون؟ من أين يأكلون؟ ماذَا يلبسون؟ إن مئة ألف مقاتل يحتاجون إلى مئة ألف بسطار قيمتها أربعة ملايين دولار، هل جمعتم هذا المبلغ أولاً؟ والسلاح؛ أقل السلاح بندقية رشاشة، لو اشتريناها من أسواق السلاح البيضاء لا من الأسواق السوداء التي تستغل حاجتنا وصعوبة حصولنا على السلاح، لو اشتريناها بلا استغلال ولا مغالاة في الأسعار لاحتاجنا إلى مئة مليون دولار. وماذا عن الذخائر؟ وأين القذائف المضادة للدروع؟ لا نكاد نملك أي فرصة لكسب الحرب لو لم نحصل على الآلاف أو عشرات الآلاف من تلك القذائف التي تتكلف كل اثنتين منها أو ثلاثة ألفاً من الدولارات.

قرأت ذات يوم كتاباً عن معركة العلمين، وهي واحدة من المعارك الفاصلة في تاريخ الحروب وقد كان لها أثر كبير في تغيير موازين القوى في الحرب العالمية الثانية، قاد جيش الحلفاء فيها الجنرال البريطاني مونتغمري وهزم القائد الألماني الأسطورة، رومل، هزيمة منكرة. الأمر المهم في تلك المعركة هو أن مونتغمري لم يبدأ بها إلا بعد الإعداد الكامل، فقد كان من القادة الذين يؤمنون بأهمية التفاصيل الصغيرة وليس الخطط العامة الكبيرة فقط، فحسبَ موارده الحربية حساباً دقيقاً حتى آخر رصاصة، ويقول المؤرخون إن هجومه على رومل كان محسوباً إلى آخر علبة من اللحم المحفوظ!

-8-

نعم، لقد وجب الجهاد، لكن الحالة الموجبة للجهاد لا تعالج بأن يحمل أفراد السلاح ويخروجوا من فورهم إلى ميدان الحرب، بل لا بد لهم من جامعة تجمعهم وقيادة موحدة تقودهم، وإلا صار أمرهم شتاناً ضائعاً ولم يصلوا إلى شيء، وهذه الجامعة هي الجيش الحر الذي ينبغي أن نقدم له مقداراً كافياً من الدعم بحيث يستطيع استيعاب المتطوعين وتوفير ما يلزم للحرب من سلاح وعتاد. عندما ذُكر الخروج إلى الجهاد في القرآن سبق ذكر الإعداد، فقال تبارك وتعالى: {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة} وقال {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}. الإعداد للجهاد يسبق إعلان الجهاد، لكيلا يبدأ بإعداد ناقص فتنقطع بالمجاهدين السبيلُ وتفشل حملتهم وتذهب ريحهم ويظهر عليهم عدوهم لا قدر الله.

إننا لا نحتاج الآن إلى الجدل بشأن الدعوة إلى الجهاد بقدر ما نحتاج إلى الإعداد والاستعداد، على أن يكون هذا الإعداد سريعاً وجاداً لأن كل تأخير و مماطلة يزيد الضغط على المدنيين الثائرين ويزيد الكرب والمعاناة. أمامنا مهمة عاجلة، هي دعم الجيش الحر ومدّه بالمال والسلاح ليصبح مهيئاً جاهزاً لاستقبال الرجال. هذه المهمة هي الواجب الذي يطالبه كل سوري في كل مكان، ويطالبه المسلمين على العموم. وهي مهمة ينبغي أن تبدأ الآن، في اللحظة الحاضرة، بل ينبغي أن تكون قد بدأت منذ شهور، لأن الثورة الشعبية وحدها لن تستطيع إسقاط النظام؛ إنها تُضعفه وتنهكه باستمرارها وقوتها وانتشارها، ولكن الضربة القاضية ستأتي من جهة تملك القوة، وهي الجيش الحر. لذلك قلت في المقالة الماضية (ثلاثية النصر) إن أطراف الثورة الثلاثة يحتاج بعضها إلى بعض ويكملا بعضها البعضاً، وإنها سوف تُسقط النظام باجتماعها وتوحيد جهودها إن شاء الله.

ويبقى بعد ذلك كله شرطٌ من أعظم الشروط وأهمها، وهو وحدة العمل العسكري جسمًا وقيادة، والحديث عن هذا الأمر

الخطير يأتي في المقالة الآتية إن شاء الله.

-الخلاصة-

- (1) الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، كان كذلك وسيبقى إلى قيام الساعة، وما ذلت الأمة إلا حينما تخلت عنه ورضيت باحتلال قطع غالبية من أرضها، فبدأ في تاريخها عهدٌ غير مسبوق من الذلة والهوان.
- (2) الجهاد كان واجباً ضد نظام الأسد من يوم سطا البعث والأسد على سوريا، وما يزال واجباً إلى اليوم وحتى تحرير سوريا الكامل من هذا النظام.
- (3) ليس الجهاد فقط جهاد القتال والسلاح، هذا هو معناه الخاص، أما معناه العام فيشمل الجهاد بالمال والجهر بالحق ودفع الظلم ومقاومة الظالمين، وبهذا المعنى الواسع نرى أن الجهاد بدأ من يوم خرجت أول مظاهرة في سوريا، وكل من شارك في الثورة بأي عمل فقد شارك في الجهاد بمعناه الواسع، وكل من سقط فيها فهو شهيد إن شاء الله.
- (4) أما الجهاد المسلح فقد بدأ منذ شهور طويلة مع أول طلقة رصاص أطلقها جنودُ أحمر من الجيش الحر، وما يزال قائماً ويتسع باطراد.
- (5) النفي لدعوة القادرين إلى الجهاد مطلوبٌ بشرط أن ينضموا إلى الجيش الثوري النظامي (الجيش الحر) حتى لا يتحركوا فرادى ويتسبّبوا في فوضى السلاح التي تشتبّه المعركة وتضرّ بالثورة حاضراً ومستقبلاً.
- (6) الدعوة إلى الجهاد ينبغي أن يسبقها إعدادٌ كافٌ واستعدادٌ لاستيعاب المتطوعين في الجيش الحر، ويشمل ذلك توفير مرافق التدريب وما يلزم للقتال من أسلحة وذخائر، ولا يكون شيء من ذلك كله إلا بالمال، وهو بابُ الجهاد المفتوح على مصراعيه للسوريين خاصة ولعامة المسلمين.

المصدر : مدونة الزلزال السوري

المصادر: